4

رحلات سندباد

# سندباد فى جزيرة الجياد

د. نبيل فاروق

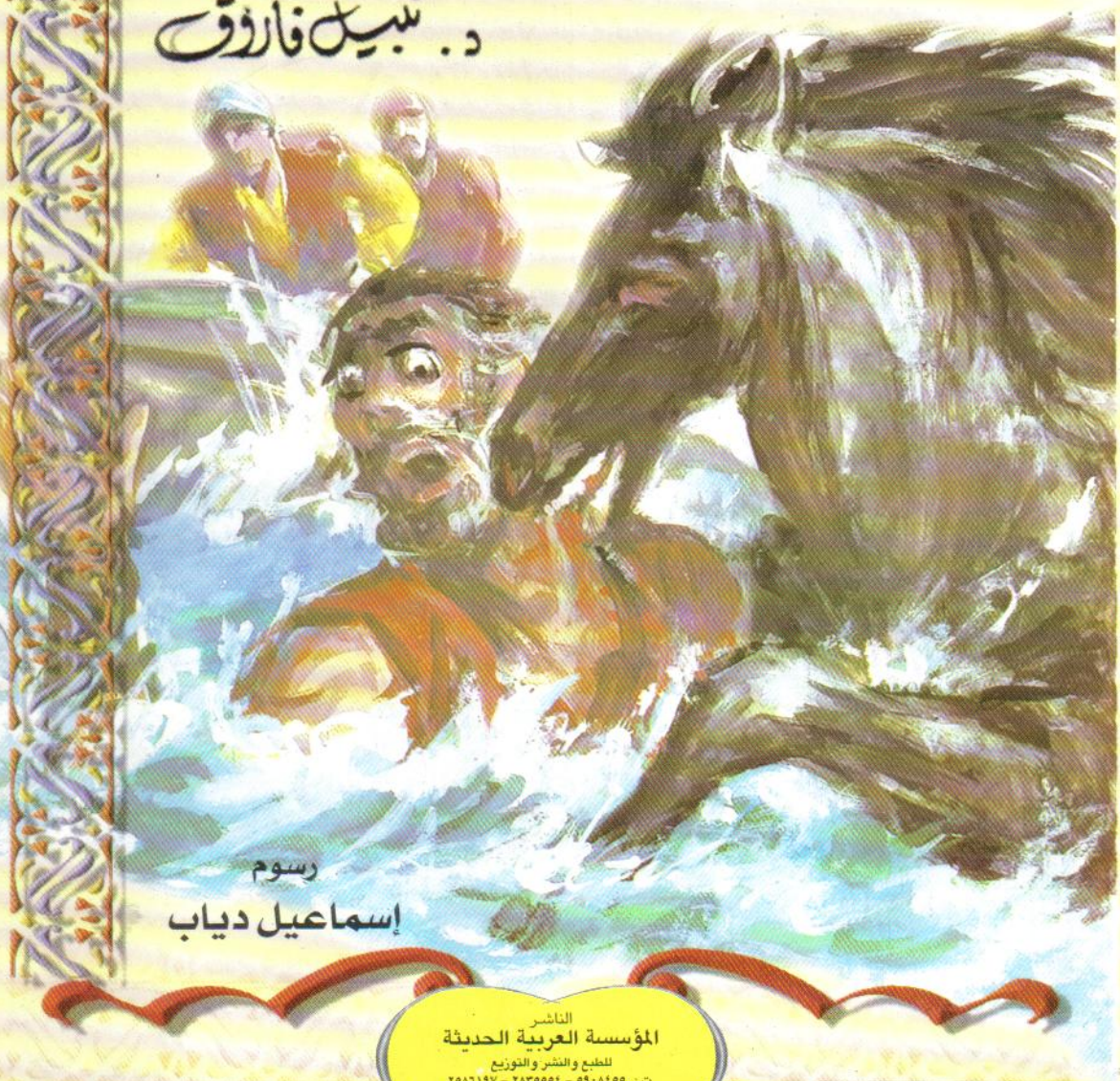

رسوم

إسماعيل دياب

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

4

# سندباد في جزيرة الجياد

بقلم
د. نبيل فاروق

رسوم
إسماعيل دياب

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

« السفينة تَحْتاجُ إلى إصْلاحٍ يا (سِنْدِبَاد) .. » .

نَطَقَ (صَفْوانُ) العِبارَةَ فى أَسَفٍ وَاضِحٍ ، وَهُوَ يُشيرُ إلى الإصاباتِ فِى جَانبِ السَّفِينةِ ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَطْرِدَ :

ـ وَلا يُمكِنُنا إجْرَاءُ هَذِهِ الإِصْلاحاتِ فِى الْبَحرِ .. نَحْتاجُ إلى الرُّسُوِّ بِالْقُرْبِ مِنْ شاطِئٍ ما ، حتى يَعْمَلَ الرِّجالُ فِى هُدُوءٍ ..

الْتَقَطَ (سِنْدِبَاد) مِنْظَارَهُ الْمُقَرِّبَ ، وَهُوَ يَقُولُ :

ـ إنّنا بَعيدُون عَن الشَّاطِئِ الآن يَا صَدِيقى ، وَلَسْتُ أَدْرِى مَا إِذَا كانَ هُنَاكَ جُزُر فِى الْجِوَارِ .

أَدَارَ مِنْظَارَهُ فِيمَا حَوْلَهُ ، بَحْثًا عَنْ أَيَّةِ عَلامَاتٍ ، تُشِيرُ إلى وُجُودِ جَزِيرَةٍ قَرِيبَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يُكْمِلَ :

ـ وَلِلأَسفِ ، كُلُّ الدَّلائِلِ تُشِيرُ إلى عَدَمِ ...

بَتَرَ عِبارَتَهُ بَغْتَةً ، وَمَالَ إلى الأَمَامِ فِى شَىْءٍ مِنَ الاهْتِمَامِ ، جَعَلَ (صفوان) يَسْأَلُهُ بِسُرْعَةٍ :

ـ هَلْ عَثَرْتَ عَلَى جَزِيرَةٍ يَاقُبْطَانُ ؟

أَجَابَهُ (سندبادُ) ، وَهُوَ يَتَطَلَّعُ عَبْرَ الْمِنْظَارِ فِى اهْتِمَامٍ شَدِيدٍ :

ـ نَعَم يَا (صَفْوانُ) ، وَهِىَ جَزِيرةٌ مُثِيرَةٌ للانْتِباه بِحَقٍّ .

الْتَقَطَ (صَفْوانُ) مِنْظَارَهُ ، وَتَطَلَّعَ بِدوْرِهِ إلى حَيْثُ يَنْظُرُ (سِنْدبادُ) ، وَتَصاعَدَتِ الدَّهْشَةُ إلى رَأْسِه بِدوْرِه ..

كَانَتِ الْجَزِيرَةُ التى يَرَاهَا ، عَلَى بُعْدِ عِدَّةِ أَمْيَالٍ بَحْرِيَّةٍ ، مُجَرَّدَ جَزِيرةٍ صَغِيرةٍ بَسِيطَةٍ فِيمَا عَدَا تِلْكَ الصَّخْرَةَ الْكَبِيرَةَ ، التى تَبْرُزُ فِى مُقَدِّمَتِها ، وَالتِى بَدَتْ أَشْبَهَ بِرَأْسٍ وَعُنُقِ جَوَادٍ ، ظَهَرَا وَكَأَنَّ يَدًا بَشَرِيَّةً قَدْ صَنَعَتْهما بِمُنْتَهى الدِّقَّةِ ، ثُمَّ نَالَتْ مِنْهُما عَوَامِلُ التَّعْرِيةِ لِبعضِ الْوَقْتِ ..

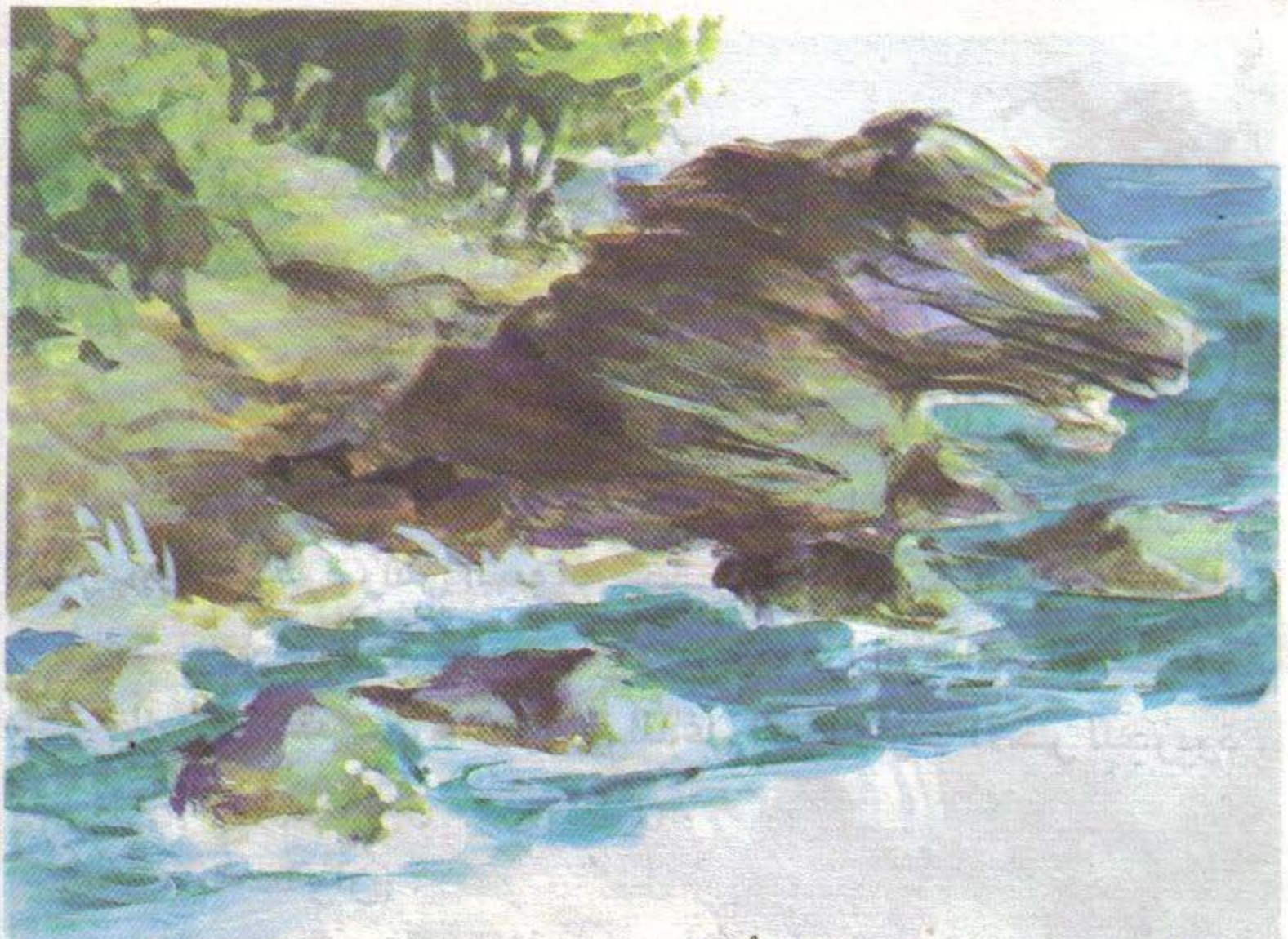

وَفِى حَيْرَة ، قالَ (صفوانُ) :

ـ عَجَبًا .. لَقَدْ خُضْنَا هَذَا الْبَحْرَ عَشَراتِ الْمَرَّاتِ ، وَلَكنَّنى لَسْتُ أَذْكُرُ أَبَدًا أَنَّنا لَمحْنا شيئًا كَهَذا هُنَا .

أَجَابَه (سِنْدِبَادُ) فى هُدُوءٍ :

ـ الْبَحْرُ لَهُ مُفَاجَاتُهُ دَوْمًا يا صَدِيقى ، وَمِن حُسْنِ حَظِّنا أَنَّها جَزِيرةٌ قَرِيبَةٌ ، سَنَتَّجِهُ إِلَيْها عَلَى الْفَوْر ، لِيبدأ الرِّجَالُ عَمَلَهُم فِى السَّفِينَةِ .

انْطَلَقَتِ السَّفِينةُ نَحْوَ الجَزِيرة بِالْفِعْل ، وَأَلْقَتِ الْهلْبَ عَلَى مَسَافَةِ أَرْبَعَمِائةِ مِترٍ مِن شَاطِئِها ، نَظَرًا لِضَحَالةِ الْمِيَاهِ فِى تِلْك الْمِنْطَقَةِ ، مِمَّا يَمْنَعُها مِنَ الاقْتِرَابِ أَكْثَرَ .

وَبَيْنَما بَدَأَتْ عَمَلِيَّاتُ الإِصْلاَحِ فِى السَّفِينَةِ ، قَالَ (سِنْدبادُ) لِزَميله (صفوانَ) :

ـ مَا رَأْيُكَ فى رحْلَةٍ لِاسْتِكْشافِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ ، بَدَلاً مِنَ الْجُلُوسِ تَحْتَ أَشعَّةِ الشَّمْس ، فِى انْتِظَار انْتِهَاءِ الإِصْلاح ؟

مطَّ (صَفْوانُ) شَفَتَيْه ، وَقَالَ :

ـ لا بَأْسَ يَا (سِنْدبادُ) ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ثِقَـــتِى بأنَّ كُلَّ رِحْلَةٍ اسْتِكْشَافِيّةٍ مَعَكَ تَتحَوَّلُ إِلَى كَارِثَةٍ .

ضَحِكَ (سندبادُ) ، وَهُو يَقُولُ :
ـ وَأَيَّةُ كارثَةٍ يُمْكِنُ أَنْ تَحْدُثَ ، فِى جَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ كَهَذِهِ ؟
هَزَّ (صَفْوَانُ) كَتِفَيْهِ ، قائِلاً :
ـ وَمَنْ يَدْرى ؟ مَعَكَ تَحْدُثُ الْكَارِثَةُ فِى قَدَحٍ من الْمَاءِ .
تَبَادَلا الضَّحِكَات وَالْمِزَاحَ ، وَزَوْرَقٌ صَغِيرٌ يَنْقُلُهما ، مَعَ ثَلاَثَةٍ مِن الرِّجَالِ ، إِلَى الْجَزِيرَةِ الصَّغِيرَةِ ، وَمَا أَنِ اسْتَقَرَّ الْجَمِيعُ فَوْقَهَا ، بِالْقُرْبِ مِن صَخْرَةِ رَأْسِ الْجَوَادِ ، حتّى أَشَارَ (سندبادُ) بيَده ، قائلاً :
ـ الجَزِيرَةُ عِبَارةٌ عَنْ شَاطئٍ دَائِرِىٍّ ، مِن الرِّمَالِ وَالصُّخُورِ ، يَتَوَسَّطُه دَغَلٌ كَثِيفٌ .. سَنَخْتَرِقُ الدَّغَلَ إِلَى الطَّرَفِ الآخَر للجَزِيرةِ ، ثُمّ نَعُودُ إِلَى هُنَا ، قَبْلَ حُلُولِ اللَّيْلِ .
هَتَفَ به (صفوانُ) :
ـ لَحْظَة يا (سندبادُ) .. هُنَاكَ شىءٌ أُحِبُّ أَنْ تَرَاهُ .
سَأَلَه (سِنْدِبادُ) فى اهتِمامٍ :
ـ أَىُّ شىءٍ هَذَا ؟
وَاقْتَرَبَ يَتَطَلَّعُ إِلَى حَيْثُ يُشِيرُ (صَفْوانُ) ، الذِى أَجَابَ :
ـ هَذِهِ الآثَارُ عَلَى الرِّمال .. إِنَّها آثارُ حَوافِرِ جِيَادٍ وَاضِحةٌ ، وَيَبْدُو أنّه هُنَاكَ أَعْدَادٌ كَبِيرَةٌ مِنْها .
تَطَلَّع (سِنْدِبَادُ) إِلَى الآثَارِ فِى دَهْشَةٍ ، قَائلاً :
ـ عَجَبًا ! إِنَّها كَذَلِكَ بَالْفِعْلِ ، وَلَكنْ مِنْ أَيْنَ تَأْتِى الْجِيَادُ عَلَى جَزِيرَةٍ مُنْعَزِلَةٍ كَهَذِهِ ؟
أَدَارَ الْجَمِيعُ أَبْصَارَهُم حَوْلَهُم فِى حَيْرَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُ الرِّجَالِ :
ـ المَكانُ يَبْدُو لى خَالِيًا تَمَامًا ياقُبطانُ .
أَيَّد زُمَلاَؤهُ قَوْلَه ، وَأَعَادَ الْجَمِيعُ النَّظَرَ فيمَا حَوْلَهُم ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ (سِنْدِبادُ) فِى حَزْمٍ :
ـ فَلْيَكُنْ .. لَنْ يُوقِفَنا هَذَا .. سَنَخْتَرِقُ الدَّغَلَ كَمَا قَرّرنا ، ثُم نعُودُ إِلَى هُنَا ، وَرُبَّما كَشَفْنا لُغْزَ هَذِهِ الْجِيَادِ ، فى أَثْنَاءِ فَحْصِنا لِلْجَزِيرَة .

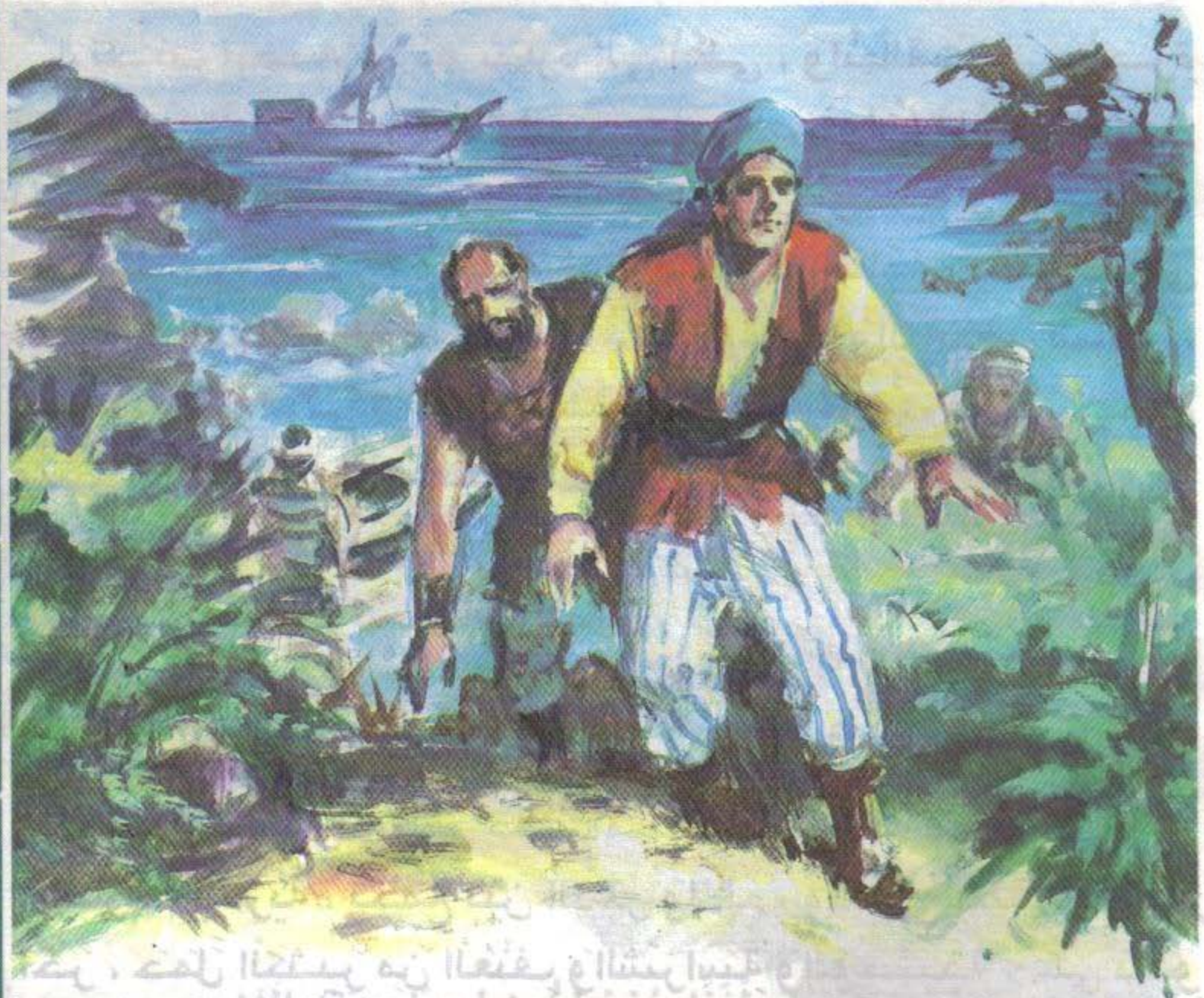

اخْتَرَقُوا الدَّغَلَ بِالْفِعلِ ، بَعْد أَنْ تَرَكُوا أَحَد الرِّجَالِ الثَّلاَثَةِ لِحِرَاسَةِ الزَّوْرَق ، وَسَأَلَ (صَفْوانُ) (سِنْدِبَادَ) ، وَهُمْ يَتَوَغَّلُون فى الْمكَان :

ـ مِنْ أَيْنَ أَتَتْ آثَارُ حَوَافِرِ الْجِيَادِ فِى رَأْيِكَ ياقُبْطانُ ؟!

أَجَابَه (سِنْدِبادُ) فِى هُدُوءٍ :

ـ لَسْتُ أَدْرى يا(صَفْوانُ) ، وَلكنْ رُبَّمَا الْتَبَسَ عَلَيْنَا الأَمْرُ ، وَكَانتْ مُجَرَّدَ آثارٍ قَدِيمَةٍ ، أَوْ تَأْثِيرًا لِبَعْضِ الأصد ...

قَاطَعَه بَغْتَةً صَهِيلُ جَوَادٍ ، يَنْبَعِثُ مِن قَلْبِ الدَّغَلِ ، فَهَتَفَ (صفوانُ) :

ـ يَا إِلَهى ! هُنَاكَ جِيَادٌ بالفِعل عَلَى الجزيرة !

وَلَمْ يُعَلِّقْ (سِنْدِبادُ) عَلَى عِبَارَتِه ، فَقَدْ بَدَا لَهُ صَهِيلُ ذَلِكَ الْجَوَادِ مُخْتَلِفًا ، قَوِيًا ، أَشْبَه بِنِداء زَعامَةٍ ، أَوْ هُتافِ ظَفَرٍ ، مِمَّا جَعَلَه يَنْدفِعُ نَحْوَ مَصْدَرِه ، فَتَبِعَهُ الْجَمِيعُ فِى لَهْفَةٍ طَبِيعِيَّةٍ ، حَتَّى بَلَغُوا مِنْطَقَةً خَالِيةً مِن الأَشْجَارِ ، وَسَمِعُوهُ يَقُولُ مَبْهُورًا :

ـ رَبَّاهُ ! كَيفَ فَعَلَ هَذَا ؟

ارتَفَعَتْ أَبْصَارهُم مَعَ نَظَرِهِ إِلَى أَعْلَى ، وَانْطَلَقَتْ مِنْ حَنْجَرةِ أَحَدِ الرَّجُلَيْن شَهْقَةُ دَهْشَةٍ ، فِي حِين فَغَرَ (صفوانُ) فَاهُ فِي ذُهُولٍ ، دُونَ أَنْ يَنْبِسَ بِبِنْتِ شَفَة ..

فَأَمَامَهم مُبَاشَرةً ، وَفَوقَ قِمَّةٍ صَخْرِيَّةٍ عَالِيَةٍ ، يَصْعُبُ عَلَى المَرْءِ تَسَلُّقُهَا ، وَالْوُصُولُ إِلَيها ، كَانَ يَقِفُ جَوَادٌ أَبْيَضُ شَاهِقٌ ، مَمْشُوقُ الْقَوامِ فِي اعْتِدَادٍ مُدْهِشٍ ، لَهُ عُنُقٌ قَوِيٌّ ، وَصَدْرٌ كَبِيرٌ ، وَيَتَطَلَّعُ إِلَيْهِم فِي هُدُوءٍ مُثِيرٍ ..

وَفِي ذُهُولٍ ، هَتَفَ (صفوانُ) :

ـ كَيْفَ أَمْكَنَهُ الوُصُولُ إِلَى هُنَاكَ ؟

أَجَابَه (سِنْدبادُ) فِي خُفُوتٍ :

ـ لا تَسْأَلْنِي .

لَمْ يَكَدْ يُتِمُّ عِبَارَتَهُ حَتى صَكَّتْ مَسَامِعَهم صَرْخَةٌ قَوِيَّةٌ .. صَرْخَةٌ بَشَرِيَّةٌ ، تَجْمَعُ بَيْنَ الذُّعْرِ وَالأَلَمِ ، وَتَمْتَزِجُ بِصَهِيلِ جَوَادٍ آخَرَ ، حَمَلَ الْكَثِيرَ مِنَ الْعُنْفِ وَالشَّرَاسَةِ وَالْوَحْشِيَّةِ ، عَلَى نَحْوٍ ارْتَجَفَتْ لَهُ عُرُوقُهم ، وَهَتَفَ لَهُ (سندبادُ) :

ـ إِنَّه زَمِيلُنا ، الذى تَرَكْنَاهُ لِحِرَاسَةِ الزَّوْرَقِ .. أَسْرِعُوا يَا رِجَالُ ..

وَاسْتَلَّ سَيْفَه ، وَهُوَ يَعُودُ أَدْرَاجَهُ إِلَى الْمَكَانِ ، وَالْجَمِيعُ يَتْبَعُونَه فِي سُرْعَةٍ ، حَتَّى بَلَغُوا مَوْضِعَ الزَّوْرَقِ ، فَهَتَفَ (صَفْوَانُ) :

ـ رَبَّاه ! .. مَا هَذَا بِالضَّبْطِ ؟

كَانَ الرَجُلُ الذى تَرَكُوهُ مُلْقًى أَرْضًا ، وَالدِّمَاءُ تَسِيلُ مِنْ صَدْرِهِ فِي غَزَارَةٍ ، لِتَروِىَ رِمَالَ الجزيرةِ ، فِي حِين يَقِفُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهُ جَوَادَانِ أَسْوَدَا (اللَّوْنِ) اصْطَبَغَتْ حَوَافِرُ أَحَدِهِما بِالدَّمِ ..

وَفِي شَرَاسَةٍ ، اسْتَدَارَ الجَوَادَانِ لِمُوَاجَهةِ (سندباد) وَرِجَالِهِ ، فَاسْتَلَّ (صفوانُ) سَيْفَه بِدَوْرِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

ـ جِيادٌ قَاتِلَةٌ ؟! لَمْ أَسْمَعْ عَنْ هَذَا فِي حَيَاتِي قَطُّ .

صَهَلَ الجَوَادَانِ ، فِي مُوَاجَهةِ سُيُوفِ (سِنْدباد) وَرِفَاقِه ، وَبَدَا وَكَأَنَّهُمَا يَسْتَعِدَّانِ لِلقِتَالِ ، فَاتَّخَذَ (سِنْدبادُ) وَضْعًا قِتَالِيًا ، وَهُوَ يَقُولُ :

ـ أَنَا أَيْضًا لَمْ أَسْمَعْ عَنْ هَذَا مِنْ قَبْلُ يَا (صَفْوَانُ) ، وَلَكِنْ يَبْدُو

أَنَنَا مُضْطَرُّون لِمواجهَتِه الآن .

اسْتَدَارَ أَحَدُ الجوادَيْن بَغْتَةً ، وَارْتَفَعَتْ قَائِمَتَاهُ الأَمَامِيّتَان ، وَهُوَ يُطْلِقُ صَهيلاً قَوِيًا ، ثُمَّ هَوَى بِحَافِرَيْهِ عَلَى الزَّوْرَقِ ، وَحَطَّمَ جُزْءًا مِن قَاعِه ، فَصَاح (صفوانُ) :

ـ لا .. لَمْ يَعُدِ الأَمرُ يَحْتَملُ هَذَا .

وَانْقَضَّ عَلَى الجَوَادَيْن ، اللّذين تَراجَعَا لَحْظَةً ، ثُمَ أَطْلَقَا صَهيلاً مُزْدوجًا ، وَانْطَلَقَا مُبْتَعدَيْن بِسُرْعةٍ كَبِيرة ، فَصَرخ (صفوانُ) ، وَهُو يُلَوِّحُ بِسَيْفه خلفَهما :

ـ عُودَا أَيُّها القَاتِلان .. عُودَا وَوَاجهانِى .

هَتَفَ به (سِنْدبادُ) :

ـ رُوَيْدَك يَارجُلُ .. إنك تُوَاجهُ حَيَوَانيْن فَحَسْبُ .

صَاحَ (صَفْوَانُ) :

ـ هَذَان الحَيَوانان قَتَلا زَمِيلَنا ، وَحَطَّمَا زَوْرَقَنا .

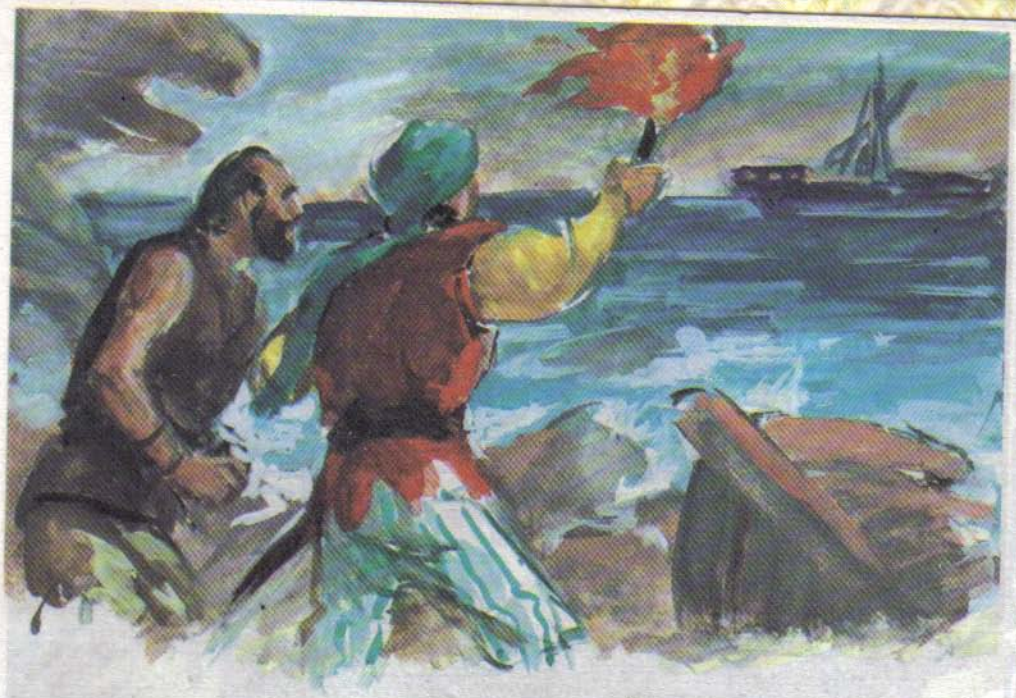

أَجَابَهُ (سندبادُ) فِى حَزْم :

ـ هَذَا لا يُبَرِّر تَعَامُلَنا مَعَهُما كَكائِنَيْن عَاقِلَيْن .

وَاتَّجـهَ يَفْـحصُ الزَّوْرقَ الْمُـحَطَّمَ وَجُـثَّـةَ الرَّجُل ، فَـقَـالَ أَحَـد الرَّجُلين الآخَرَيْن :

ـ يُمكننى أَنْ أَسْبَح إِلَى السَّفِينَةِ ، وَأُحْضِرَ زَوْرَقًا آخر .

أجابه (سِنْدبادُ) :

ـ لا دَاعىَ لِهَذَا .. سَنُرسِلُ إِلَيهِم إِشَارَةً بالنِّيرانِ ، لِيُرسِلُوا زَوْرَقًا آخرَ ، قَبْلَ حُلول الظَّلاَم .

غَمْغَمَ (صفوانُ) مُتَوَتِّرًا :

ـ أَتَعَشَّمُ أَنْ يُسَارِعُوا بِهَذَا ، فَالشَّمْسُ عَلَى وَشْكِ الْمَغِيب .

أَشْعل (سندبادُ) النِيرانَ ، وَلوَّحَ بالغُصْنِ الْمُشْتَعِلِ للسَّفِينةِ ، قَائلاً :

ـ هَلْ أَصْبَحت تَخْشَى الظُّلْمَةَ الآن ؟

أَجَابهُ (صفوانُ) ، وَهُوَ يَتَطَلَّعُ حَوْلَه فِى حَذَرٍ :

ـ كَلاَّ ، وَلَكنَّنِى لا أَشْعُر بالارْتِيَاح لِوُجُودِنَا عَلَى هَذهِ الْجزيرَة .. هُنَاك شَىْءٌ مَا فِيها يَمْلأُ نَفْسِى بالْقَلَقِ وَالتوتُّرِ .

تَنَهَّد (سِنْدبادُ) ، قَائلاً :

ـ اطْمئنّ يَا صَديقى .. دَقَائق وَيَصلُ الزَّوْرَقُ الآخَرُ ، وَنَعُودُ كُلُّنَا إِلَى السَّفِينَةِ .

رَأى أَرْبَعَتُهم الزَّوْرَقَ الآخَرَ ، وَالْبَحَّارَةُ يُنزِلُونَه إِلَى الْمَاءِ ، وَعَلَى مَتْنِهِ رَجلٌ وَاحدٌ رَاحَ يَقُودُه إِلَى حَيْثُ يقِفُون ، فَغَمْغَمَ (صفوانُ) :

ـ حَمْدًا للّه .. هَذَا أفْضَلُ كَثيرًا .

وتابعوا ببصرَهم الزَّوْرقَ ، وَهُوَ يَقْتَربُ وَيَقْتَربُ ، وَ ...

وَفَجْأَةً ، بَرَزَ ذَلكَ الشيءُ مِنَ الْبَحر ..

جَوَادٌ أَسْودُ ضَخْمٌ ، بَرَزَ فَجْأَةً لِيَضْرِبَ الزَّوْرَقَ برأْسِه ، وَيقْلِبَهُ بِحركَةٍ مُبَاغِتَةٍ ، جَعَلَتِ الرَّجُلَ عَلَى مَتْنِه يُطْلقُ صَرْخَةَ فَزَعٍ ، فَصَاح (سندبادُ) :

ـ رَبَّاهُ ! الجَوادُ هَاجَم الزَّوْرَق .

اتسعَتْ عَينَا (صَفْوان) فِى ارتياعٍ ، وَهُوَ يُغَمْغِمُ :

ـ هَذَا مُسْتَحِيلٌ ! مُسْتَحِيل !

كَانَ الرَّجلُ ، الذى سَقَطَ مِنَ الزَّوْرَقِ المَقْلُوبِ ، يُجَاهِدُ للعَوْدَةِ إِليْهِ ، وَلَكِنَّ الجَوادَ الأَسْودَ انْقَضَّ عَلَيه فِى عُنْفٍ ، وَقَبَضَ بِأَسْنَانه عَلَى عُنُقِهِ ، ثُمَّ جَذَبَه إِلَى الْقَاعِ ..

وَلِثوانٍ ، بَدا الصِّرَاعُ بَيْنَ الرجُل وَالجوَادِ وَاضِحًا ، ثُمَّ لَمْ يَلْبث الإثنانِ أَن اخْتَفَيا تَحتَ السَّطحِ لِبضْع لَحظاتٍ ، ظَهَرَ بَعْدَها الجوادُ ،

لِيُطْلِقَ صَهِيلاً مُفْعَمًا بالظَّفَرِ ، ثُمّ يَغُوصُ مَرّةً أُخْرى تَحتَ الماءِ ، وَيخْتَفى تَمامًا ..

وَرَانَ صَمْتٌ رَهِيبٌ عَلَى (سندباد) وَرِجَالِهِ ، عَلَى سَطْحِ الْجزِيرةِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ هُوَ أَنْ قَطَعهُ ، وَهُوَ يُغَمْغِمُ :

ـ إِنّهم يَمنَعُونَنا مِن الرَّحِيل !

قَالَ (صفوانُ) فِى تَوَتُّرٍ بَالِغٍ :

ـ أَلَمْ أَقلْ لكَ : هُنَاكَ شىءٌ مَّا يُصيبُنى بِالقَلَقِ وَالتَّوَتُّرِ هُنَا .

انْعَقدَ حَاجِبا (سندبادَ) وَهُوَ يَقولُ فِى حَزْمٍ :

ـ لا يُمكنُ أَنْ تَنتَصِرَ علينا الجيَادُ .. إِنها مُجرَّدُ حَيَوَاناتٍ ، لاَ يُمكنُ أَن تَبْلغَ مُسْتَوى ذَكائِنَا قَطُّ .

أَشَارَ (صفوانُ) إِلَى الشَّمْسِ ، التى غَاصَتْ فِى الأُفُقِ ، قَائِلاً :

ـ وَلَكِنّهَا أَجْبَرَتْنَا عَلَى قَضَاءِ اللَّيلِ هُنَا .

ـ قَالَ (سِندبادُ) فِى صَرَامةٍ :

ـ فَلْيَكُنْ .. وَلَكِنَّها لَنْ تُخِيفَنَا .. سَنُشْعِلُ نِيرَانًا كَبِيرةً ، وَنَتَبَادلُ الحِرَاسَةَ طُوالَ الوَقْتِ ، وَلَنْ تَجْرُؤَ الجِيَادُ عَلَى الاقْتِرابِ مِنَّا ، فِى وُجُودِ النِّيرَانِ ، فَكُلُّ الْحَيَواناتِ تَخْشَى النَّارَ .

جَمَعُوا كَمِيةً كَبِيرةً مِنَ الْحَطَبِ ، وَأَشْعَلُوا نَارًا ضَخْمَةً ، الْتَفُّوا حَوْلَهَا ، وَقَالَ (سِندبادُ) :

ـ سَأَتَسَلَّمُ نَوْبَةَ الحِراسَةِ الأُولَى ، ثُمّ ..

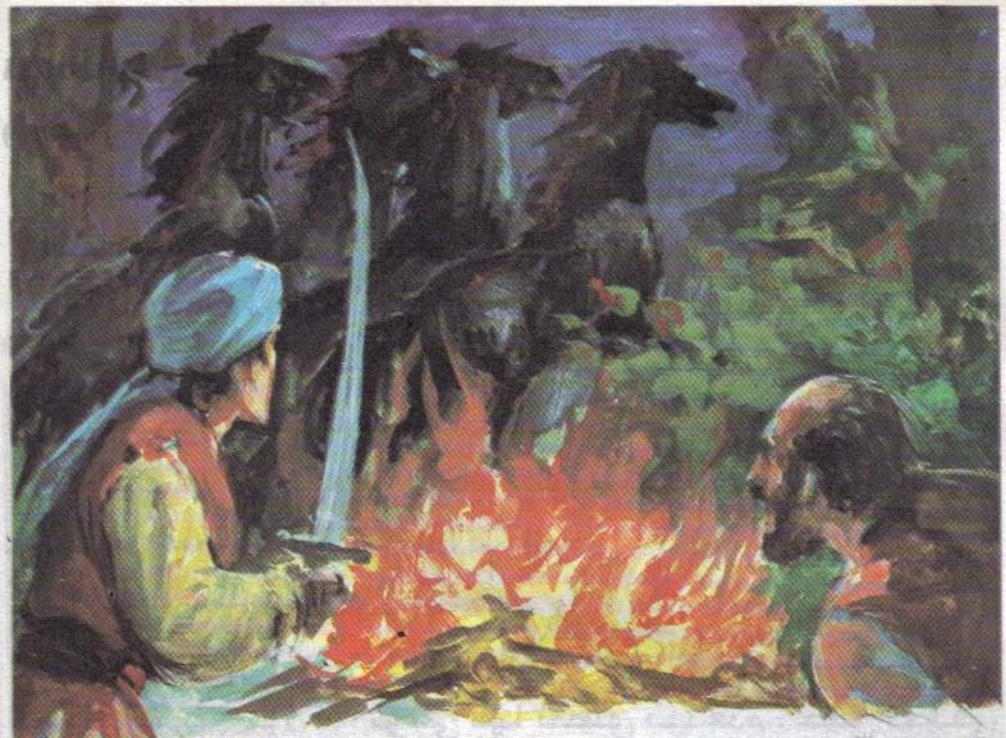

لَمْ يَكُنْ قَدْ أَتَمّ عِبارَتَهُ بَعْدُ ، عِنْدمَا أَطْلَقَ أَحَدُ رِجَالِهِ شَهْقَةَ فَزَعٍ ، وَقَفَزَ مُتَراجِعًا فِى تَوَتُّرٍ شَدِيدٍ ، فِى نَفس اللَّحْظَةِ التى هَتَفَ فِيها (صفوانُ) :

ـ رَبّاهُ ! انْظُرْ يا (سِندباد) !!

اسْتَدَارَ (سِنْدِبَادُ) إِلَى حَيْثُ يُشِير فى سُرْعَةٍ ، وَانْعَقَد حَاجِبَاهُ فِى شدَّةٍ ، عِنْدمَا وَقَعَ بَصَرُه عَلَى أَرْبَعةٍ مِن الجِيادِ ، يَقِفُون عَلَى مَقْرُبةٍ مِنهم ، وَتُطِلُّ مِن عُيُونِهم نَظَراتٌ قَاسِيةٌ مُخِيفةٌ ، وَ (صفوانُ) يَسْتَطْرِدُ :

ـ مَا الذِى يُرِيدُونَه مِنّا بالضَّبط يَا (سندبادُ) ؟

انحَنَى (سِنْدبادُ) فِى حَذَر ، يَلْتَقِطُ غُصْنًا مُشْتَعِلاً ، وَهُوَ يَقُولُ :

ـ لَسْتُ أَدْرِى يَا (صفوانُ) ، وَلَكِنّهمْ لَنْ يَجْرُءُوا عَلَى الاقْتِرَابِ ، فِى وُجُودِ كُلِّ هَذِهِ النِّيرَانِ .

ثُم رَفَعَ الغُصْنَ ، وَلَوَّحَ بِه فِى وَجْهِ الْجَوادِ ، الذى ظَلَّ هَادِئًا سَاكِنًا يَتَطَلَّعُ إِلَى الغُصْنِ الْمُشْتَعِلِ فِى بُرُودٍ ، قَبْل أَنْ يُدِيرَ رَأْسَه إِلَى الْجِيَادِ الأُخْرَى ، وَيُطْلِقَ صَهِيلاً خَافِتًا ، انْفَصَل عَلَى إِثْرِه جَوَادٌ آخَرُ مِن الْمَجْمُوعَةِ وَتَقَدَّم نَحْو النِّيرَانِ وَانْحَنَى يَلْتَقِط مِنها غُصْنًا مُشتعلاً ،

ثُم أَلْقَاهُ فِى عُنْفٍ بِأَسْنَانِه نَحْوَ (سِنْدِبَاد) ، الذى تَراجَعَ فِى حِدَّةٍ ، وَ (صَفْوَانُ) يَهْتِفُ فِى ذُهُولٍ :

ـ مُسْتَحِيلٌ ! مُسْتَحِيلٌ ! لا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا .. مُسْتَحِيلٌ .

اسْتَلَّ (سِنْدِباد) سَيْفَه قائلاً :

ـ وَلَكِنَّهُ حَدَثَ ، ويَبْدُو أَنَّنا سنُضْطَرُّ لِلقتال ، دِفاعًا عنْ حياتِنا .

انْتَزَعَ صَفوانُ سيْفَهُ بِدَوْرِه ، وكَذَلك فَعَلَ الرجُلان ، وَبَدا وكَأَنّ الأَمْرَ سَيَتَحَوَّلُ بَغْتَةً إِلَى مَعْرَكَةٍ عَنِيفَةٍ ، و ...

وَفَجأَة ، أَطْلَقَت الْجِيَادُ الأَرْبَعةُ صَهيلاً قَوِيًا ، شَقَّ سُكُونَ اللَّيْلِ ، وَبَدا أَكْثَر عُنْفًا مِن أَن يَتَنَاسَبَ مَعَ الْمَكانِ ، فَهتَف (سندبادُ) :

ـ اسْتَعِدُّوا يَارِجَالُ .

أَطْلَقَ هُتافَهُ ، مُتَصَوِّرًا أَنَّ هَذَا الصَّهيلَ القَوِىَّ مُقَدِّمَةٌ لِهجُومِ الجِيَادِ الأَرْبعةِ ، إِلا أَنَّه فُوجِئَ بِها تَنْطَلِقُ مُبْتَعِدَةً ، حَتَّى تَخْتَفِىَ فِى قَلْبِ الدَّغَلِ وَالظَّلامِ ، فَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ فِى دَهْشَةٍ ، قَائلاً :

ـ وَلَكِنْ لِماذا ؟! لِماذَا ؟

قَالَ (صَفْوانُ) فِى عَصَبِيَّة :

ـ (سندبادُ) .. يَنْبَغِى أَنْ نُغَادِرَ هَذِهِ الجزِيرةَ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ .. البَقَاءُ هُنا أَصْبَحَ مَحْفوفًا بالمخاطِر .

أَشَارَ (سندبادُ) إِلَى الْبَحرِ قَائلاً :

ـ وَهَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْمُغَادَرَةَ آمِنةٌ ؟!

هَلْ نَسِيتَ مَا حَدَثَ لِلرَّجلِ الذى حَاوَلَ إِحْضَارَ الزَّوْرَقِ الآخَر ؟!

قَالَ (صفوانُ) مُحْتَدًا :

ـ وَلَكِنَّنا لَنْ نَبقَى هُنا إِلَى الأَبَدِ .

أَجَابَهُ (سندبادُ) وَهُو يَعْقِدُ حَاجِبَيْه فِى شِدَّةٍ :

ـ إِنَّنا مُضْطَرُّون لِلبَقَاءِ ، حَتَّى نَجِدَ وَسِيلَةً لِلمُغادَرَةِ عَلَى الأَقَلّ ، وَحَتَى ذَلِكَ الْحِينِ ، سَنُواصِلُ تَبَادُلَ نَوْبَاتِ الْحِرَاسَةِ ، حَتَّى تُشْرِقَ الشَّمْسُ .

لَمْ يَتبادَلُوا الحَديثَ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، بَعْدَ قَوْلِه هَذَا ، وَتَولَّى هُوَ نَوْبَةَ الحِرَاسَةِ الأُولَى ، إِلا أَنَّ الآخَرِين لَمْ يُغْمِضْ لَهُم جَفْنٌ طَوِيلاً ،

ثُمّ لَمْ يَلْبَثِ النَّوْمُ أَنْ هَزَمَهُم ، وَفَرَضَ سَطْوَتَه عَلَيهم ، عَلَى الرَّغْم مِنَ الخطرِ المحيقِ بِهِم ، ثُمَّ ..

« (سندباد) .. ( سندباد) .. اسْتَيقِظْ يا (سندباد) .. »

اشْتَرك صَوْت (صفوانَ) ، مَعَ هزَّاتِ يَده ، فِى إيقاظِ (سندباد) ، الذى فَتَح عَيْنَيْه فِى سُرْعَةٍ ، قائلاً فى تَوتُّر شَدِيد :

- مَاذَا هُنَاك ؟

كانتِ الشَّمسُ قَدْ أَشْرَقت مُنْذُ قَلِيلٍ ، وَغَمرَتِ الْجَزِيرَةَ بِضَوْئِها ودِفْئِها ، وَ (صَفْوانُ) يقُولُ مُتوتِّرًا :

- انهَضْ وَانظُر .

هَبَّ (سِندبادُ) مِن رُقَاده ، وَنَظَرَ إِلَى حَيْثُ يُشير (صفوانُ) ، ثُمَّ شَهَقَ فِى دَهشةٍ قَوِيّةٍ ، وَصَاحَ :

- اسْتيْقِظوا يا رِجَالُ .. حَانت لَحْظَةُ القِتَال .

قَالَها ، وَهُو يَسْتَلُّ سَيْفَه ، فِى مُوَاجَهة الجيَاد السَّوْدَاءِ ..

جَيْشٌ كَامِلٌ مِنْهُم ، كَانَ يَقِفُ أَمَامَ الدَّغَلِ ، فِى صُفُوفٍ مُتَراصَّةٍ مُنْتَظِمَةٍ ،

وكَأنّها فِرقٌ عَسكَريّةٌ تَستَعدّ للهُجُوم ..
وَبَدا مِنَ الوَاضِح أنَّ القِتَالَ لَنْ يُحْسَمَ لِصَالح (سندباد) وَرِجَالِهِ قَطُّ ..
حَتَى وَلَو قَاتَلُوا بِكُلّ قُوَّتِهِم ..
وَبِكُلّ أَسْلِحَتِهِم ..
وَلِثوانٍ ، ظَلَّ المَوْقِفُ صَامِتًا جَامِدًا ، كَصُورَةٍ فِي مَجَلةٍ خَيَاليَّةٍ ،
ثُم رَفَعَ زَعِيمُ الجيادِ السُّودِ قائِمَيْه ، وَأطلَق صَهِيلاً قَوِيًا ..
وانْقَضَّتِ الجيادُ ..
كَانَ انقضاضُهم عَنِيفًا للغَايَة ، وَعَلى نَحْوٍ أَدْرَكَ مَعَه الرِّجَالُ الأَرْبَعَةُ أَنّ انْتِصَارَهم فِي هَذِه الْمَعْرَكةِ مُسْتَحِيلٌ ، فَتَرَاجَعُوا بِسُيوفهم ، وَ(سندبادُ) يَهْتِفُ :
ـ قَاتِلُوا يَا رِجَال .. لاَ تستَسْلِموا أَبَدًا .. قَاتِلُوا بِكُلِّ قُوَّتِكُم .
وَفَجْأَة ، وَقَبْلَ أَنْ يُتِمَّ هُتَافه ، ظَهَرَ الجَوَادُ الأَبْيَضُ ...
ظَهَرَ فَجْأَةً مِن خَلْفِهِم ، حَيْثُ يَقَعُ الْبَحْرُ ، وانْدَفَعَ يَحُولُ بَيْنَهم وَبَيْنَ الجِيَاد السُّود ، وَهُو يُطْلِقُ ، صَهِيلاً قَوِيًا ، بَدَا مُخْتَلِفًا تَمامَ الاخْتِلاَفِ عَن صَهِيلِ الجِيَادِ الأُخْرَى ..
وَمَعَ ظُهُورِه الْمُبَاغِت ، تَوَقَّف هُجُومُ الجِيَادِ السُّودِ بغْتةً ، وَتَراجَعُوا فِي بُطْءٍ ، وَكَأنما يُوَاجِهُون خَصْمًا لا قِبَلَ لَهم بِه ..
وَأَطْلَقَ الجَوَادُ الأبيضُ صَهِيلاً آخَرَ ، انطَلَقتْ بَعْدَه الجِيَادُ الأُخْرَى هَارِبةً ، فَهتف (صفوانُ) :
ـ رَبَّاهُ ! .. لَقد أَنْقَذَنَا .

الْتَفَتَ إِلَيْهِمُ الجوادُ الأبيضُ، وَأَلْقى عَلَيـــهم نَظْرَةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ أطْلَقَ صَهِيلاً مُبَاغتًا ، وانْتَفَضَ جَسَدُه فِى عُنْفٍ ، ثُمّ بَرزَ مِنه جَنَاحانِ كبيران ، ارتفعَ لِظهورِهِمَا حَاجِبا (سندباد) فِى دَهْشة ، وَهُو يَقُول :

- وَلكن .. ولكن ...

قَبل أَنْ يُضِيفَ شَيئًا ، حلَّقَ الْجوَادُ الأبيضُ فِى السَّماءِ كَطَائرٍ هائلٍ ، وَرَاحَ يَبْتَعِدُ ويَبْتَعِدُ ، وَمَعَ ابْتِعَادِه فِى اتّجَاه الْبَحْرِ ، لَمَحَ الجَمِيعُ الزوْرَقَ الإِضَافِىَّ مُسْتَقِرًا عَلَى الشَّاطِئ ، فَقَالَ (صفوانُ) فِى دَهْشَةٍ :

- الزَّوْرَقُ يا (سندبادُ) .. لَقَدْ وَصَل سالِمًا .

حَدَّق (سندبادُ) فِى الزَّوْرق لحظة ، قَبل أَن يهتفَ :

- أَسْرِعُوا إِلَيْه يارِفَاقُ .. سنغادِرُ الجزيرَة عَلَى الفوْرِ ..

كان الزورقُ يَقْتَرِبُ بِهم مِن سَفِينتهم ، مُبتعدًا عَن جَزِيرة الجِيَادُ عِنْدَما سألَ (صفْوانُ) :

ـ مَا سِرُّ مَا حَدَثَ فِى هَذِهِ الجزيرة يا (سندباد) ؟ لِمَاذا فَعَلتْ بِنا الجيَادُ هذا ؟ وَمَا سرُّ ذلك الجوادِ الأبيضِ ؟ هَلْ تَعْلَمُ ؟ لَسْتُ أعتقدُ أَنَّنى سَأَقْتربُ من هذهِ الجزيرةِ ثانيةً .

صَمَتَ (سندبادُ) لحظاتٍ مُفكِّرًا ، قبل أن يقولَ :

ـ مَنْ يَدْرِى يا صديقى ؟ رُبّما كان هذا هو الغَرضُ من كُلِّ مَا حَدَثَ .. مَنْ يدرى ؟

فِى نَفْس اللَّحظة التى نَطَق فِيها عِبَارَتَهُ ، كانَ الجَوادُ الأبيضُ يَقِفُ إِلَى جِوارِ زَعِيم الجِيَاد السُّودِ ، والاثنان يُتَابعان سفينةَ (سندباد) ، وهى تَبْتَعدُ ..

وتبتعدُ ..

وتبتعدُ ..

( تمت بحمد الله )